الغول عند العرب

قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات "زعموا ان الغول حيوان شاذ مشوّه لم تحكمهُ الطبيعة وانهُ لما خرج مفردًا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يناسب الانسان والبهيمة وانهُ يتراءى لمن يسافر وحدهُ في الليالي واوقات الخلوات فيتوهَّمون منهُ انسانًا فيصدُّ المسافرين عن الطريق". ثم قال "ان ثابت بن جابر الفهمي لقي الغول فضربهُ بالسيف وان تأبَّط شرًّا الشاعر الفهمي اشار الى ذلك حيث قال

ألا من مبلغ فتيانَ فهمٍ ... بما لاقيت عند رحا بطانِ
فاني قد لقيت الغول تهوي ... بشهب كالصحيفة صحصحانِ
فقلت لها كلانا نضو دهرٍ ... اخا سفرٍ فخلي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فاهوى ... لها كفي بمصقولٍ يماني
فاضربها بلا دهش فخرَّت ... صريعًا لليدين وللجرانِ
فقالت عُدْ فقلتُ لها رويدًا ... مكانكِ انني ثبت الجنانِ
فلم انفكَّ متكئًا عليها ... لانظرَ معجبًا ما ذا اتاني
اذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسانِ
وسافا مخدج وسرار كلبٍ ... وثوب من عباء او شنانِ

وقال الدميري في حياة الحيوان الكبرى الغول جنس من الجن وكل ما اغتال الانسان فاهلكهُ فهو غول والتغوُّل التلوُّن وفي ذلك يقول كعب بن زهير بن ابي سلمى رضي الله عنهُ

فما تدوم على حالٍ تكون بها ... كما تلوَّن في اثوابها الغولُ

قال والذي ذهب اليهِ المحققون ان الغول شيءٌ يخوَّف بهِ ولا وجود لهُ كما قال الشاعر

الغول والخلُّ والعنقاء ثالثة ... اسماء اشياء لم توجد ولم تكنِ

ولذلك سموا الغول خيشورًا وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحلُّ كالسراب وكالذي ينزل من الكوى في شدَّة الحرّ كنسيج العنكبوت

وقال الجاحظ في شرح قصيدة محمد بن السكن اللعلم النحوي التي مطلعها

ان ربي لما يشاء قديرٌ ... ما الشيء ارادهُ من مفرِّ

الى ان يقول ... وتزوجت في الشبيبة غولاً ... بغزال وصدقتي زقُّ خمرِ

الغول اسمٌ لكل شيءٍ من الجن يعرض للسفّار ويتلوّن في ضروب الصور والثياب ذكرًا كان او انثى الّا ان الاكثر على انهُ انثى وقد قال ابو المضراب عبيد بن ايوب العنبري

وحالفتْ الوحوش وحالفتني لقرب عهودهنَّ بالبعادِ
وامسى الذئب يرصدني مخافًا لخفة ضرتي ولضعف آدي
وغولا قفرة ذكرٌ وانثى كأنَّ عليهما قطع البجادِ

فجعل في الغيلان الذكر والانثى . وقال ذو الرمّة

رتيءٍ خبطنا غولها وارتمى بنا ابو البعد من ارجائهِ المتطاوحُ
فلاة لصوت الجنّ في منكراتها هرير والايوام فيها نوائحُ
وطول اغتمامي في الدجى كلما دعت من الليل اصداه المثاني الصوائحُ

وقال الجاحظ ان الشعر الذي رواهُ القزويني لتأبط شرًّا هو لابي البلاد الطهوي ورواهُ هكذا

طافَ على جهينة ما الآقي من الروعات يوم رحى بطانِ
لقيت الغول تسري في ظلام بسهم كالعيابة صحصان
فقلتُ لها كلانا نضو ارضٍ اخو سفرٍ فصدّي عَنْ مكاني
فصدّت وانحنت لها بعضب حسام غير موتشب يمانِ
وقد سرأتها والبرد منها نفرّت لليدين وللجرانِ
فقالت زد نقلتُ وويد اني عَلَى امثالها ثبت الجنانِ
شددت عقالها وحططت عنها لانظر غدوةً ماذا دهاني
اذا عينان في وجه قبيح كوجه المرء مشقوق اللسانِ
ورجلا مخدج ولسان كلب وجلد من قراب او شنانِ

قال وابو بلاد هذا الطهوي كان من شياطين العرب وهو كما ترى يكذب وهو يعلم ويطيل الكذب ويجيزهُ وقد قال

فقالت زد نقلتُ ويد اني عَلَى امثالها ثبت الجنانِ

لانهم هكذا يقولون يزعمون ان الغول تستزيد بعد الضربة الاولى لانها تموت من ضربة وتعيش من الف ضربة

وظاهر كلام الجاحظ انهُ لم يكن يصدّق بوجود الغول وقد نقل قول ابي اسحق في ذلك وهو من اظهر ما قيل في هذا المعنى قال "وكان ابو اسحق يقول في الذي تذكرهُ الاعراب من عزيف الجان وتغوّل الغيلان اصلُ هذا الامر وابتداؤهُ ان القوم اذا نزلوا بلاد

الوحش شملت فيهم الوحشة . ومن انفرد وطال مقامهُ في البلاد والخلاء والبعد عن الانس استوحش ولا سيما مع قلة الاشتغال فلا تقطع ايامهُ الَّا بالتفي او بالتفكير . والفكر ربما كان من اسباب الوسوسة . . . وخوَّفني الاعمش منهُ فكَّر في مسئلة فانكر اهلهُ عقلهُ حتى حموهُ وحاوروهُ . . . واذا استوحش الانسان مثَّل لهُ الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتقرَّق ذهنهُ وانتقضت اخلاطهُ فيرى ما لا يُرى ويسمع ما لا يُسمَع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انهُ عظيم جليل . ثم جعلوا ما تصوروهُ من ذلك شعرًا تناشدوهُ واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايمانًا ونشأ عليهِ الناشيُ وربي بهِ الطفل فصار احدهم حين يتوسَّط الفيافي وتشتمل عليهِ الغيطان في الليالي الحنادس فعند اول وحشة او فزعة وعند صياح بوم وتجاوبة صدى وقد رأى كلَّ باطل وتوهم كل زور وربما كان في اصل الطبيعة كذَّابًا وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة يقول رأيت الغيلان وكلمتُ السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول وافتنها ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول تزوجتها . قال عبيد بن ايوب

أهذا رفيق الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال المواكل

وقال آخر

اخو قفرات حالف الجن وانتق من الانس حتى قد نفضتُ وسائدهُ
لهُ نَسَبُ الانسي يعرف نجلهُ وللجن منهُ خلقهُ وشمائلهُ

ومما زادهم في هذا الباب واغراهم بهِ ومدَّ لهم فيهِ انهم ليسوا يقفون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الَّا اعرابيًّا مثلهم والَّا غبيًّا لم يأخذ نفسهُ قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط . واما ان يلقوا راوية شعر او صاحب خبر فالراوية عندهم كلما كان الاعرابي اكذب في شعره كان اظرف عندهم وصارت روايتهُ اغلب ومجالسك احدثهم اكثر

وقال الدميري سأل رجل ابا عبيدة عن قولهِ تعالى طلعها كأنهُ رؤوس الشياطين وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عُرف مثلهُ وهذا لم يُعرَف . فاجابهُ بان الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم اما سمعت امرء القيس كيف قال

ايقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوالِ

وهو لم يرَ الغول قط ولكنهُ لما كان يهول لهم اوعدوا بهِ

وخلاصة ذلك ان العرب جسمت الغول حيوانًا لهُ بدن انسان وقوائم دابة وانكرها المعتقون الذين ظهروا في صدر الاسلام وقالوا انها شيء يخوَّف بهِ ولا وجود لهُ